بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السابع والأربعون

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين، يقول الإمام محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله -

باب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرت به**) صححه الترمذي.

[الشرح]: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، قال المصنف - رحمه الله - :-

◈ **باب النهي عن سب الريح، وهو مناسب لكتاب التوحيد:** حيث إن سب الريح، سب لمدبرها وهذا منافي للتوحيد، أن سب الريح سب لمدبرها؛ إذ الريح جند من جند الله، خلق من خلق الله، لا تجري بأمرها، ولا تسير بإرادتها، وإنما الله تعالى هو الذي يسيرها وهو الذي يرسل الرياح: فتارة يرسلها بشراً بين يدي رحمته، وتارة يهلك بها من شاء من عباده فإن الله - سبحانه وتعالى - قد أهلك عادا بالريح ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَ ﴾ أذلهم الله - عز وجل - لأنهم كانوا يفتخرون بعتوتهم وعتوهم فأهلكهم الله بألطف الأشياء وهو الهواء فهي جند من جند الله فلا يجوز سبها.

◈ **أورد المصنف - رحمه الله - حديث أبي ابن كعب، وأبي ابن كعب** بن قيس الأنصاري، من سادات الأنصار، وهو سيد القراء، فهو أقرأ الناس لكتاب الله، وقد كانت وفاته سنة ثلاثين للهجرة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: **"لا تسبوا الريح"**: أي لا تشتموها، ولا تعيبوها، ولا تذموها؛ لكون شيء لحقكم بسببها، وهذا أمر كان جاريا على ألسنة العرب في الجاهلية، ولا يزال عند بعض الجهال، يذم الريح ويسبها، فقال: "لا تسبوا الريح **فإذا رأيتم ما تكرهون"**: يعني إما من شدة حرها، كالسموم، أو لشدة بردها، كالزمهرير، أو لقوتها، كالأعاصير. إذا رأيتم ما تكرهون **"فقولوا اللهم إنا نسألك خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به"** **خير هذه الريح**: يعني الخير الذاتي فيها، **وخير ما فيها**: يعني خير ما تحمله فإنها تحمل أحيانا الغيوم والسحب وتسوقها وتحمل حبوب اللقاح وأمورا لا ندريها، **وخير ما أمرت به**: مما يعني أقره الله وقدره في الأزل إما من نزول المطر أو غير ذلك، **ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به**: هذا هو

الذي ينبغي للمؤمن إذا رأى ما يكره من هذه الريح، قال: صححه الترمذي: وقد رواه في الحقيقة أيضا الإمام أحمد والنسائي وهو صحيح والحمد لله. فهذا إذا أدب نبوي ينبغي للمؤمن أن يتأدب به فإذا رأى هذه الريح وهبوبها لا يكن رد فعله التبرم والضيق والذم والعيب وإنما يقول "اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ما شاء الله، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به" وهي أدعية جامعة لما يخطر بالبال ولما لا يخطر بالبال فهي استعاذة بالله – سبحانه وتعالى – وسؤال له في آن واحد

◈ ومناسبة الحديث للباب ظاهرة جداً: لأن فيه التصريح بالنهى عن سب الريح.

◈ إذا نستفيد من هذا الحديث:-

- النهى عن سب الريح، وهل هذا النهى؛ للكراهة أم للتحريم؟ ينبغي أن يكون للتحريم؛ لأن الأصل في النهي التحريم، ومراعاة للمانع أيضا، والمعنى الذي لأجله قلنا أن النهى للتحريم؛ لأن سب الريح سب لمدبرها، وهذا قطعا محرم.

- أيضا، نستفيد من ذلك الاستعاذة بالله – عز وجل – من كل شر.

لا يعيذ العبد من الشرور إلا الله – سبحانه وبحمده – { قل أعوذ برب الفلق ومن شر ما خلق }، فالله تعالى هو الذي يعيذك، ولهذا من إعاذته لك أن جعل المعقبات، { له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله}؛ فلا تفزع إلى غير مولاك فلا تظن أن أحدا يحميك سوى الله – عز وجل – إملأ قلبك من الثقة والتوكل، وقل (لا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون).

- ونستفيد أيضا أن الريح قد تكون مأمورة بخير وقد تكون مأمورة بشر، الريح قد تكون مأمورة بخير لقوله "وخير ما أمرت به" وقد تكون مأمورة بضد ذلك لقوله "وشر ما أمرت به" فهي مأمورة والله تعالى هو الذي يأمرها ولا يأمرها إلا بالحكمة ومصلحة إما مصلحة بينة ظاهرة وإما غائية يعني يترتب عليها أمر مراد لله – سبحانه وتعالى – محبوب له.

- وفيها أيضا من الفوائد التي نستفيدها حسن التعليم بالإرشاد إلى البديل من الأقوال والأفعال فلما نهى النبي ﷺ عن سب الريح أعاضنا بهذا الدعاء الحسن الجميل الجامع فينبغي أن نراعي هذا في تعليمنا للناس

◈ نستمع إلى المسائل: فيه مسائل

-الأولى: النهي عن سب الريح

الشرح: تبين

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره

[الشرح]: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره (وقولوا للناس حسنا) (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة

[الشرح]: وخير ما أمرت به فهي مأمورة

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر

[الشرح]: نعم تبين هذا لكن لو قع ذلك على سبيل الإخبار فلا حرج كأن يقول مثلا قائل هبت ريح عاتية على سبيل الخبر المجرد فهذا لا باس به وإنما المحظور هو أن يصدر ذلك على سبيل السب والذم

باب

: قول الله تعالى يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ }

وقوله تعالى { الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ } الآية.

[الشرح]: قال المصنف – رحمه الله – تعالى باب قول الله تعالى: { يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله } . هذه الآية نزلت في: شأن المنافقين الذين أساءوا الظن بالله – عز وجل – حيث زعموا أن الله تعالى أن لن ينصر رسوله ولن يعز دينه ولن يعلى كلمته هذا ظنهم

◈ ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد مناسبة وثيقة وهو:

أن حسن الظن بالله – عز وجل – من مقتضيات التوحيد واعلموا – يا أخوة – أنه:

◈ يجب على الإنسان أن يحسن الظن بربه في: ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وقدره ، وشرعه. لابد أن ينطوي قلبك على المعاني الكريمة تجاه ربك – سبحانه وتعالى –:

- في ذاته: أن فتعتقد أنه – سبحانه – هو الذي له الكمال المطلق له المثل الأعلى.
- في أسمائه: أن له الأسماء الحسنى التي بلغت الغاية في الحسن.
- في صفاته: أن صفاته قد بلغت الكمال، وأنه لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه فهو سبحانه مبرأ من

العيب و النقص ومماثلة المخلوقين.

- في قدره: فتعتقد أن الله – سبحانه – لا يظلم مثقال ذرة وأن قدره لحكمة وأن أفعاله – سبحانه – معللة يعني لعلة وحكمة.

- في شرعه: أنه لا يشرع إلا ما فيه مصلحة للبلاد والعباد.

وهكذا يعني هذا الذي ينطوي عليه قلب المؤمن، وأما إن كان غير ذلك فهذا هو ظن الجاهلية ولهذا قال في الحديث القدسي "أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبد ما شاء"، فإذا كان مكنون القلب ظن حسن بالله فأبشر أنا عند ظن عبدي بي؛ فدوما دع قلبك ينطوي على حسن الظن بالله – سبحانه وتعالى – ستجد الله عند حسن ظنك به.

◈ من الناس –والعياذ بالله– من يسيء الظن بالله تعالى: في أسمائه وصفاته: فيعتقد فيهم التمثيل أو التعطيل أو ينفي عنه الصفات التي وصف بها نفسه أو يصفه بما يقتضي معني سوء كما صنعت اليهود حينما قالت {يد الله مغلولة} {إن الله فقير ونحن أغنياء} وما أشبه ذلك، ومنهم من يسيء الظن بالله في قدره: وهذا كثير – وللأسف – فإن كثير ممن يقع عليهم مصائب قدرية وإن لم يلهجوا بألسنتهم لكن يكون في قلوبهم – عافانا الله وإياكم – نقمه يكون في قلوبهم نقمه على كيف يجري الله عليهم هذا القدر وربما فاهت ألسنة بهذا ويقول أنا ماذا صنعت لماذا جرى على كذا وكذا! هذا سوء ظن بالله. بينما المؤمن يعلم ما أخبر به النبي ﷺ لا يقضي على المؤمن قضاء إلا كان خيرا له، ولهذا كان أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحدا إلا للمؤمن من الناس –عافانا الله وإياكم – من يظن بالله سوء في شرعه: فيقول لما شرع الله كذا كأن يقول – والعياذ بالله – لماذا حرم الله شرب الخمر، لماذا منع الله من الزنا، لماذا كذا وكذا فيكون عنده – والعياذ بالله – نوع اعتراض لماذا الرجم هذا قسوة وهكذا مما يضخه شياطين الإنس والجن، فيجب عليك عبد الله وأنتي يا أمة الله أن يمتلئ قلبك ثقة بالله وأن الله – سبحانه وتعالى – كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وشرعه وقدره هذا هو الظن الذي يجب أن ينطوي عليه القلب، ولهذا قال إبراهيم عليه السلام لقومه {فما ظنكم برب العالمين} يعني ماذا في قلوبكم عن الله فليوجه كل واحد منا هذا السؤال إلى نفسه فما ظنك برب العالمين، لابد معشر الإخوان أن يكون ظنك بالله حسنا جميلا فإن الله عند ظن عبده به فاعتصم بهذه العروة فإنها توصلك إليه – – سبحانه وبحمده.

◈ هذه الآية تمتها قول الله – عز وجل – {يظنون بالله} : {يظنون بالله}: أي المنافقون والظن في الأصل خلاف

اليقين لكنه أحيانا يستعمل بمعنى اليقين، {يظنون بالله غير الحق}: يعني غير ما ينبغي وغير ما هو عليه الواقع، {ظن الجاهلية}: إذا ظن الجاهلية بدل من قوله غير الحق يعني ظن أهل الجاهلية بالله – عز وجل – حيث اعتقدوا أن الله – سبحانه وتعالى – لن ينصر رسوله وأنه كما قال قائلهم يعني أنه أبتر ليس له عقب ونحو هذا { قالوا أساطير الأولين } وغير ذلك وكذا المنافقون {بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا } هكذا ظن المنافقون ظن الجاهلية يقولون وهذه أيضا بدلا من يظنون يعني ظنهم ذلك يتمثل في قولهم: ، {هل لنا من الأمر من شيء }: هذا الاستفهام بمعنى النفي لأن أي شيء جوابه لا أي استفهام جوابه لا فهو بمعنى النفي مرادهم بقولهم ، {هل لنا من الأمر من شيء }: أي ليس لنا من الأمر شيء يعني لن نحصل على نصر ولا ظفر ولا شيء مما نرجوه أو أنه لا شأن لنا بتدبير الأمور ولا باتخاذ القرار ليس لنا من الأمر شيء {يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله}: إي والله {ألا له الخلق والأمر } الأمر كله لله – أيها الإخوان – هو الذي يدبر ويقضي ويحكم ويريد تمام هذه الآية : { يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا }: وهذا قد مر بنا في الدرس الماضي { قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور } فلا حاجة لإعادته قد تقدم.

◈ فهذه الترجمة يعني أراد بها الشيخ – رحمه الله –: التأكيد على مسألة حسن الظن بالله – عز وجل –لأن ذلك من مقتضيات التوحيد.

◈ – نستفيد من هذه الآية ما يلي:–

– نستفيد بأن من ظن بالله غير الحق فقد شابه أهل الجاهلية.

– نستفيد أيضا أن من ظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة فقد أساء بالله الظن مرة أخري أن من ظن أن الله يديل يعني يجعل الدولة والغلبة الباطل على الحق إدالة مستمرة فقد أساء بالله الظن مرة ما معنى هذا الكلام يعني لو إنسان اعتقد بأن الله – سبحانه وتعالى – سيجعل النصر والغلبة لأهل الباطل على أهل الحق باستمرار فقد أساء الظن بالله أما أن يقع مداولة مؤقتة فهذا قد أثبته الله قال الله تعالى { وتلك الأيام ندولها بين الناس } فقد يديل الله أهل الباطل على أهل الحق فترة ما لحكمة بالغة لكن لا يمكن أن يديل الله – عز وجل – أهل الباطل على أهل الحق إدالة مستمرة مستقرة فمن اعتقد غير ذلك فقد أساء الظن بالله.

– وفي الآية أيضا إثبات الحكمة فيما يجريه الله – سبحانه وتعالى – من شرعه وقدره – وفي الآية أيضا ما يدل على

خبث طوية المنافقين وفساد معتقدهم وهذا هو حالهم في كل جيل وقبيل فهم زمن النبي ﷺ ينطوون على هذا الخبث والسوء وكذلك في زماننا ممن يسمون بالعلمانيين أو الليبراليين الذين ينبذون الإسلام وشريعته ويتمنون أن يحل في بلاد المسلمين طرائق الغرب، وأساليبهم ونمط حياتهم وغير ذلك فإنهم يعني يبغضون الشرع وفيهم شبه من سلفهم من أولئك الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية.

- وفي الآية إثبات القدر. وفيها أيضا وجوب الظن بالله - عز وجل.

◈ **ثم ثنى المصنف - رحمه الله - بقول الله تعالى: { الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء }:** طبعا هكذا القراءة المشهورة وقد ورد في قراءة { الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء }، **تمام الآية:** {وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا }في سورة الفتح: **الظانين بالله ظن السوء:** فهؤلاء الذين ذكرهم الله الظانين بالله ظن السوء هم المنافقون والمنافقات الذين لما هم النبي ﷺ بالخروج إلى مكة عام الحديبية صاروا يشيعون الشائعات ويقولون{ لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا} تفنيهم قريش ستقضي عليهم هكذا - والعياذ بالله - فظنوا بالله ظن السوء فحكم الله عليهم والدعاء من الله عليهم حكم وقضاء: **{ عليهم دائرة السوء }:** أي دائرة العذاب والمذلة فهي لازمة لهم أينما ذهبوا لا يتخلفون عنها ولا تتخلف عنهم وفوق ذلك: **{وغضب الله عليهم}:** الغضب صفة حقيقية من صفات الله - عز وجل - على ما يليق به لا يشبه غضب المخلوقين لكنه وصف حقيقي يليق به كما أضافه الله إلى نفسه **{ولعنهم }:** أي أبعدهم عن رحمته فإن اللعن معناه الطرد والإبعاد **{وأعد لهم }:** أي هيئ لهم **{ جهنم }:** اسم من أسماء النار وقيل سميت بهذا الاسم لتجهمها وظلمتها، **(وساءت مصيرا):** أي منزلا ومآلا.

◈ **فهذه الآية أيضا مناسبتها للباب ظاهرة:** وهو أن من ظن أن الله لن ينصر دينه ونبيه وحزبه فقد أساء بالله الظن.

◈ **نستفيد منها:-**

- أولاً: التحذير من سوء الظن بالله

- ثانيا: أنه من صفات المنافقين والمنافقات

- ثالثا: إثبات صفة الغضب لله - عز وجل - على ما يليق به

- رابعا: شؤم عاقبة المنافقين الظانين بالله ظن السوء لقوله: (عليهم دائرة السوء) شؤم عاقبة المنافقين وفعلا فإن هؤلاء المنافقين عام الحديبية أصابهم ندم عظيم حينما لم يخرجوا مع النبي ﷺ ندم من جهة الدنيا حيث أن الله أباح

غنائم خيبر لمن خرج مع النبي ﷺ للحديبية وحرم منها من لم يخرج فأصابهم هذا الندم على أمر دنيوي فضلا عما ادخر لهم الله من عذاب أخروي .

ثم نقل المصنف – رحمه الله – نصا طويلا من كلام ابن القيم – رحمه الله – نأخذه جملة، جملة.

[قراءة المتن]

قال ابن القيم في الآية الأولى:

- **فسر هذا الظن بأنه – سبحانه – لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل،**
- **وفسر أن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته،**
- **وفسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ، وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح**

[الشرح] : يقول ابن القيم – رحمه الله -: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله: يعني ما الظن الذي وقع في قلوب المؤمنين أن ظنوا في قرارة أنفسهم أن الله لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل: يعني ستكون هذه الحادثة قاضية عليه، وأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته: لم يكن مشمولا بقدر الله وإنما وقع هكذا ، وفسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ وأن يظهره على الدين كله: إذا هذه ثلاثة أمور: الأول: إنكار القدر، الثاني: إنكار الحكمة، الثالث:إنكار أن يتم الله أمر رسوله، وكل هذه الثلاثة: إنكار الحكمة من اعتقد بأن الله يفعل لا لحكمة بل لمحض المشيئة كما وقع من بعض الفرق الإسلامية فقد أساء بالله الظن.

ثقوا تمام الثقة بأن جميع أفعال الله لحكمة لكن قد ندرك هذه الحكمة وقد تخفي علينا لكن قطعا الله حكيم فمشيئته – سبحانه – دوما مقرونة بحكمته لا يمكن أن يكون هناك مشيئة مجردة عن الحكمة مشيئته مقرونة بحكمته ، خلافا للأشاعرة: فإن الأشاعرة يثبتون مشيئة منزوعة الحكمة ويقولون يفعل لا لعلة، وقد ألف ابن القيم – رحمه الله – كتابا حافلا من أحسن ما ألف في بابه وهو: كتاب [شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل] ، من أحسن ما كتب في باب القضاء والقدر والحكمة والتعليل لأن كثير من الناس عنده علة في باب القضاء والقدر فهذا شفائها، ثم قال : [قراءة المتن]

وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن

يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

[الشرح]: نعم إذا بين الشيخ - رحمه الله - هذا الظن وأن من وقع منه أحدى هذه الثلاث يعني من ظن أن الأمر لم يقع بقدر الله من ظن أن الأمر لم يقع لحكمة من ظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة مستقرة فقد أساء بالله الظن، أما المؤمن الصادق فإنه يحسن الظن بربه: ولهذا تأملوا حينما قام النبي ﷺ عام حجة الوداع على الصفا فقال "لا اله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده " هذا هو حسن الظن بالله - عز وجل - يعلم أن الله - سبحانه وتعالى- لا يخلف الميعاد، ولما أحاطت الأحزاب بالمدينة وأتوها وطوقوها كما يحيط السوار بالمعصم عشرة آلاف من غطفان والعرب وقريش واليهود من الجانب الآخر جعل النبي ﷺ والمؤمنون يحفرون الخندق فعرضت لهم عقبة كأداء فدعوا النبي ﷺ ليرى فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب هذه الصخرة ضربة فأضاء نور ثم ضرب الثانية فأضاء نور ثم ضرب الثالثة فأضاء نور فقال النبي ﷺ " ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الأُولَى فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورَ الْحِيرَةِ وَمَدَائِنِ كِسْرَى ، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلابِ ، فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا . ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّانِيَةَ ، فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورَ الْحُمُرِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلابِ ، فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا . ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّالِثَةَ ، فَبَرَقَ مِنْهَا الَّذِي رَأَيْتُمْ أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورُ صَنْعَاءَ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلابِ . فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا .

انظروا - أيها الأخوة - في هذه الشدة النبي - صلى الله عليه وسلم – واثق بربه وينقل هذه الثقة وهذا اليقين إلى المؤمنين ، بينما المنافقون يقول قائلهم ماذا يعدكم محمد لو ذهب أحدنا يقضي حاجته لم يأمن على نفسه يظنون بالله الظنونا فهذا هو فرق ما بين المؤمنين وغير المؤمنين، وهذه الأمور - يا إخوان - لا تظهر يعني حقيقة الظن إلا في المآزق وفي الكرب يتبين صدق الظن من عدمه ومن كذبه ماذا قال الله تعالى في ذلك اليوم قال: { ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما }، أما المنافقون فماذا قالوا يقول الله - عز وجل - { ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا } وفسروا ذلك بأن أحدهم لا يأمن يذهب يقضي حاجته فهذه المواقف هي التي تكشف أحوال الناس وما تنطوي عليه قلوبهم ولهذا انتقل الشيخ - رحمه الله - إلى ذكر حال الناس تجاه مسالة الظن بالله. [قراءة المتن]

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه

وصفاته وموجب حكمته وحمده ووعده الصادق فليعتني اللبيب الناصح لنفسه بهذا وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

[الشرح]: يقول الشيخ: **"وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم فيما يختص بهم"**: يعني إذا جرى عليهم شيء من الأقدار ظنوا بالله ظن السوء وصاروا يتساءلون في دواخلهم لما أجرى الله علينا كذا ألسنا كذا وأخذوا يدلون على الله بأعمالهم ويمنون على الله وإن لم يوفوهوا بألسنتهم أو فيما يفعله بغيرهم يعني مثلا لو جرى على غيرهم شيء من الأشياء قالوا "والله فلان ما يستاهل" ما يجوز أن يقال هذا هذه كلمة تسمعونها كثيرا ما معنى" ما يستاهل هذا "؟هل هذا استدراك على الله؟! الله أعلم وأحكم، فلا يجوز أن يعبر بمثل هذا التعبير.

قال **"ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده ووعده الصادق"** هذا يدلنا - أيها الأخوة - على شرف هذا الباب وهو باب العلم بأسماء الله وصفاته هو لب الإيمان أن يعرف العبد ربه بمقتضى أسماءه وصفاته فينبغي لنا أن نفقه هذا الباب فقها عظيما وأن نعرف الله - سبحانه وتعالى - بمقتضي أسماءه وصفاته ولهذا قال في الحديث إن لله تسعة وتسعين اسما مائه إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة فلو كان إحصائها بمجرد عدها أو اتخاذ المسابح بتسع وتسعين خرزه وسردها لهان الأمر لكانت سلعة الله رخيصة وسهلة البلوغ لكن إن الأمر أعظم من ذلك أن يحصيها العبد ويستنبطها من نصوص الكتاب والسنة أي الأسماء الحسنى ويفقه معانيها ويعمل بمقتضاها فيكون ظنه بالله حسنا هذا الذي يوصله الجنة.

[قراءة المتن]

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم ! فإن تنجو منها تنجوا من ذي عظيمة و إلا فإني لا أخالك ناجيا.

[الشرح] : أيضا نبه الشيخ - رحمه الله - ولفت نظر كل أحد إلى أن يفحص قلبه ويستخرج خبيئته وينظر فإن ربما وجد في قلبه آفة واعتراض يقول ما كان ينبغي كذا وكذا ولو أنه كان كذا وكذا قال: **"فمستقل ومستكثر إلا من عصمه الله"** مستقل يعني من سوء الظن ومستكثر منه - عافانا الله وإياكم - **"وفتش نفسك هل أنت سالم فإن تنجوا منها"**: يعني من سوء الظن بالله ، **تنجو من ذي عظيمة**: يعني من شيء شديد ومزلق عظيم ، **و إلا فإني لا أخالك ناجيا**: ولهذا كان القلب السليم الذي وعده الله - سبحانه وتعالى - بالنجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا

من أتى الله بقلب سليم هو السالم من كل شبهة تخالف خبر الله ورسوله، ومن كل شهوة تخالف أمر الله ورسوله هذا تعريف القلب السليم فهذا الذي إذا قدم به العبد ووافى به ربه فليبشر فهو الذي تحصل به النجاة إذا هذا كلام ابن القيم – رحمه الله –

◈ **المسائل:** فيه مسائل

– الأولى: تفسير آية آل عمران

[الشرح]: نعم وقد تقدم

– الثانية: تسير آية الفتح

– الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر

[الشرح]: نعم أي سوء الظن بالله – عز وجل – أنواع متنوعة لا حصر لها منها أيظن أن ذلك ليس بقدر، منها أن يظن أن ذلك ليس لحكمة، منها أن يظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة

– الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه

[الشرح]: نعم وهذا يؤخذ من كلام ابن القيم – رحمه الله – فالعلم لله بمقتضى أسماءه وصفاته عصمة للعبد وتطبيق ذلك على النفس من أسباب توقية النفس من هذا الدغل الذي قد ينتقد على صاحبه في أشد المواقف وأحرجها، فينبغي للإنسان في حال السعة والرخاء أن يتفقد قلبه وينظفه حتى إذا ما داهمته فتنة – عافانا الله وإياكم – كان متهيئا مستعدا لها.

باب ما جاء في منكري القدر:

وقال ابن عمر "والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر".

ثم استدل بقول النبي ﷺ "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خير وشره" رواه مسلم .

[الشرح]: لعلنا نكتفي بهذا القدر من هذا الباب ونتكلم على هذه المقدمة قال المصنف – رحمه الله –

◈ **باب ما جاء في منكروا القدر:** يعني باب ما جاء مما من الوعيد باب ما جاء في منكروا القدر من الوعيد

ما القدر؟ القدر – أيها الإخوان – مصدر قدر يقدر قدر أو قدر ، وتعريفه الشامل العام: وهو تعلق علم الله بالكائنات قبل وجودها، وكتابته إياها، ومشيئته وخلقه لها . هذا التعريف – أيها الإخوان ويا أيتها الأخوات ومن بلغ – يتضمن أربع مراتب: المرتبة الأولى: مرتبة العلم والثانية: مرتبة الكتابة، والثالثة: مرتبة المشيئة ، والرابعة: مرتبة الخلق ؛ فلا يتم إيمان امرئ بالقدر حتى يجمع هذه المراتب الأربعة:

الأولى: مرتبة العلم: فيعتقد أولا اعتقادا جازما بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا أزلا وأبدا ما كان وما يكون وما سوف يكون وما لم يكن كيف لو كان يكون، ما كان من أفعاله وما كان من أفعال خلقه يعني من الطاعات والمعاصي ولآجال والأرزاق، مرة أخرى أبين المرتبة الأولى وهى مرتبة العلم الاعتقاد الجازم بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا أزلا وأبدا أزلا يعني منذ الأزل أبدا يعني إلى المنتهى ما كان في الماضي، وما يكون في الحاضر، وما سوف يكون في المستقبل، وما لم يكن كيف لو كان يكون حتى الأمور التي لم تكون لو كانت كيف تكون يدل على ذلك قول الله – عز وجل – {ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه } مع أنهم لا يردون أليس كذلك لكن لو ردوا لعلم الله بما سيكون منهم (لعادوا لما نهوا عنه) ما كان من أفعاله كالآجال والأرزاق، وما كان من أفعال عباده كالطاعات والمعاصي، هذه هي المرتبة الأولى هذه هي القاعدة في باب القدر اعتقادك الجازم بعلم الله المحيط بكل شيء.

الثانية: مرتبة الكتابة: الاعتقاد الجازم بكتابة الله تعالى للمقادير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة أن تعتقد اعتقادا جازما؛ بأن الله – سبحانه وتعالى – كتب المقادير في اللوح المحفوظ بالقلم قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .

الثالثة: مرتبة المشيئة: الاعتقاد الجازم بمشيئة الله النافذة وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

الرابعة: مرتبة الخلق: الاعتقاد الجازم بأن الله خالق كل شيء فالله خلق جميع الأشياء ذواتها وصفاتها وحركاتها فالله الخالق وما سواه مخلوق ، لا يتم إيمان امرئ بالقدر حتى يجمع هذه الأربعة؛ فمن أنكر شيئا منها فقد وقع في إنكار القدر، ولهذا كان المنكرون للقدر على درجتين :

١) أوائلهم، وغلاتهم كانوا ينكرون المراتب الأربع جميعا وهم [أتباع معبد الجهني] الذي ظهر في البصرة فكان غلاة القدرية يقولون: الأمر أنف لا قدر الله أمر ونهى ولا يعلم من سيطيعه ومن سيعصيه هؤلاء هم غلاة القدرية. لكن لما كانت مقالتهم شنيعة لأنها مقالة تصرح بإنكار علم الله ومن أنكر علم الله فقد وصفه

بالجهل؛ أنكر معلوم من الدين بالضرورة، جاء من بعدهم المعتزلة فلطفوا نسبيا مقالتهم، وقالوا لا بأس علم وكتب لكن لم يشأ ولم يخلق؛ العبد يشاء مشيئة مستقلة عن مشية الله ويخلق فعله بنفسه دون الله تعالى الله عما يقولون فصارت القدرية: قسمين قدرية الغلاة، وقدرية مقتصدون. **أما أهل الحق** فقد هدوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه فأثبتوا جميع هذه المراتب ولا شك أنه لا يتم إيمان امرئ إلا بالإيمان بالقدر.

- **وهذا هو مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد:** أنه لما كان الإيمان بالقدر من لوازم الربوبية كان لا يتم توحيد امرئ إلا بالإيمان بالقدر، الإيمان بالقدر القدر قدر من قدر الله علمه ومشيئة كتابته ومشيئته وخلقه فمن أنكره كله أو بعضه فقد أنكر الربوبية والأسماء والصفات فلذلك ناسب إيراد هذا الباب في كتاب التوحيد لصلته الحميمة الوثيقة بأمر التوحيد والإيمان.
- **وقد ساق فيه المصنف – رحمه الله – كلام ابن عمر لما ساق حديث جبريل:** وذلك أنه قد أتى ابن عمر رجلان من أهل البصرة أحدهما يقال له يحيى ابن يعمر، والثاني حميد بن عبد الرحمن فقالوا: لو أنا وجدنا أحدا من أصحاب النبي ﷺ فنسأله عن هذا الأمر الذي ظهر فينا في البصرة، قال: فوفق لنا عبد الله بن عمر – إي والله وقد وقعوا على الخبير، قال: فاكتنفته – والقائل يحيى بن يعمر – قال فاكتنفته أنا و صاحبي وظننت أنه سيكل الكلام إلى. فقلت له: انه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم – يعني يطلبون العلم ويبحثون عنه – ويقولون لا قدر، ويقولون الأمر أنف، أنف يعني مستأنف على الله يعني بمعنى أن الله أمر ونهى ولا يعلم من سيطيعه وسيعصيه. فساق ابن عمر – رضي الله عنه – حديث أبيه، عن رسول الله ﷺ، إذا ابن عمر – رضي الله عنهما – لما ألقى عليه هذا السؤال أول ما صنع – رضي الله عنه – أن استدل بالحديث، وهكذا **ينبغي لطلبة العلم أن يرفعوا رأسا بالنص والدليل** ؛ فهو قبل أن يعلق وقبل أن يخلطه بكلام، أتى بالحديث حديث أبيه: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم طلع علينا رجل شديد سواد الشعر شديد بياض الثياب لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد؛ الحديث المشهور. **ما وضع الشاهد منه؟** قال فأخبرني عن الإيمان قال "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" حديث مشهور؛ **رواه مسلم:** وهو أول حديث استفتح به الإمام مسلم صحيحه ، رواه أصحاب السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

حديث جبريل هو الإسلام كله: كما قال الشراح أنه الدين كله فهو حديث عظيم، والشاهد منه يعني إنما ساقه

ابن عمر لهذه الجملة أن تؤمن بالقدر خيره وشره وتلاحظون في جواب النبي ﷺ أنه في شأن القدر صنع أمرين: أولا: أعاد ذكر العامل فقال وتؤمن لم يقل تؤمن بالله وتؤمن بملائكته وتؤمن برسله وتؤمن بكتب الله عطفها كلها على الإيمان بالله فلما جاء ذكر القدر قال "وتؤمن" مما يدل على مزيد تأكيد.

ثانيا: فصل فيه ما لم يفصل في غيره حينما قال تؤمن بالله ما قال بأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته ولم يقل بشئ من التفصيل في الملائكة والكتب لكن لما ذكر القدر قل خيره وشره لمزيد التأكيد ولكثرة الغلط في هذا الباب.

ثم إن ابن عمر – رضي الله عنهما – ذكر هذا الحديث قال: "والذي نفس ابن عمر بيده": تأسيا بقسم النبي – صلى الله عليه وسلم – "لو كان لأحد": من القدرية لو كان لأحد يعني القدرية الذين ينكرون القدر يقولون لا قدر والأمر أنف ، "مثل أحد ذهبا ": أحد جبل معروف في المدينة متوحد يقع شمال المدينة وقعت عنده المعركة المشهورة ، ثم أنفقه في سبيل الله: أنفق جبل كامل من ذهب في سبيل الله، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر: إذا الإيمان بالقدر من شروط الإيمان لا ينفعه لو أنفق وفرق هذا المال بكاملة إذا لم يؤمن بالقدر ثم استدل بقول النبي ﷺ ولكن الواقع أنه قد ذكر هذا الحديث ثم علق عليه بقوله وله سياقات متعددة جمعها الإمام مسلم في مطلع صحيحة.

- إذا هذا الحديث حديث ابن عمر في الحقيقة يدل مناسبا جدا: لما جاء في منكروا القدر.
- ويستفاد منه فوائد منها : أولا: منها أن إنكار القدر كفر؛ لأن النبي ﷺ جعله من أصول الإيمان – ثانياً: عدم قبول أعمال منكري القدر؛ لقول ابن عمر "لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر" ويدل عليه قول الله – عز وجل – { وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ } . ثالثا: الاستدلال على الأحكام بالكتاب والسنة؛ وهذا منهج أصيل يجب على طالب العلم أن يعتمده في كل ما يقوله أن يذكر دليلا، وعلى طالب العلم ألا يتبرم إذا قال له القائل ما الدليل عليه أن يعتبر أن هذه علامة صحة في الأمة بعض الناس يسأل فيجيب فيقال له ما دليلك فربما وقع في نفسه شيء. يجب أن تفرح يا طالب العلم إذا قال لك محدثك ما الدليل هذه علامة صحة في الأمة؛ لأنه يدل على أن هذا السائل يريد أن يعبد الله على بينه وليس هذا من باب تكذيبك، بل يريد الدليل الذي بيَّن الحجة التي بينه وبين ربه – عز وجل – فافرح إذا قيل لك ذلك.

هذا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.